

بروكسيميا التواصل في رواية جذور وأجنحة لسليم بتقة

Proximia Communication in the Novel Roots and Wings by Salim Betka

رضا معرف¹

¹ جامعة بسكرة (الجزائر)، redha.marref@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/30 تاريخ القبول: 2023/03/10 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص:

قراءة النص الروائي في عصرنا الحديث، تمر عبر العديد من الحقول المعرفية والاجتهادات النقدية، متوسلة إسهامات الإستيطيقا، والفلسفة، والإيديولوجيا، في ترابطها مع المحمولات الثقافية والتاريخية والاجتماعية، كشفا عن الفاعلية الإبداعية في مجال الكتابة الروائية. تهدف هذه الدراسة إلى استثمار مصطلح البروكسيميا الأمريكي في ارتباطه بدلالات المكان من حيث علاقات القرب والجوار، وما يتخللها من أنماط سلوكية، وعواطف، ومناحي تأثير، ومحاولة إسقاطها على رواية جذور وأجنحة لسليم بتقة. كلمات مفتاحية: البروكسيميا؛ المكان؛ التواصل؛ الرواية.

Abstract:

Reading the narrative text in our modern era passes through many fields of knowledge and critical jurisprudence, begging for the contributions of logic, philosophy, and ideology, in their interdependence with cultural, historical, and social movements, revealing the creative effectiveness in the field of fiction writing.

This study aims to invest the term American proxima in its association with the semantics of place in terms of proximity and neighborhood relations, and the behavioral patterns, emotions, and aspects of influence, and try to project them on the novel "Roots and Wings" of Salim Betka.

Keywords: Proximia; place; communication; novel.

1. مقدمة:

تقوم الرواية الحديثة على تحطيم الحواجز بين الثقافات وتمكين الاتصال فيما بينها استجابة لتحديات جديدة يشكلها الواقع التاريخي والاجتماعي، ومنذ بداية العصر الحديث اكتشف الكثير من الروائيين أن ثقافة الآخر تمدهم بالكثير من المفاهيم والمنجزات المعرفية التي كان على الروائي العربي تقريبها للمتلقي من أبناء المجتمع، غير أن عملية التقريب تلك تقتضي ضرورة القدرة على اكتشاف الهوية الحقيقية للآخر، واستجلاء مكوناتها، بغية الوصول لتمثل ثقافي تكاملي يعكس المسالك الذهنية التي يعتمدها أبناء ثقافة الأنا، في الاستفادة من ثقافة الآخر عبر إخضاعها لقواعد قارة في الثقافة القومية.

سليم بركة في رواية "جذور وأجنحة" ينقلنا في رحلة سردية من الشمال، إلى الجنوب بصحرائه الساحرة التي تكوّن فضاء لتعريف الآخر -المستعمر الفرنسي- المتمظهر في شخصية المجدد فايان، بثقافة العربي الذي رغم معاناته، تحت وطأة الظلم والاستعباد، يستطيع أن يبهر الآخر بثقافته المنبتقة من أعراف، وعادات، وتقاليد، ترسمها البيئة الصحراوية.

هذه الدراسة لا تهتم بمقالات السرد وما ينجم عنها من أحداث ومواقف بقدر اهتمامها بوصف المكان، والناس الذين تعايشوا في كنفه، ضمن إطار عملية التواصل الثقافي بينهم، ليبدو المكان بهذا الشكل كما لو كان " خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر" (بجراوي، 1990، صفحة 31) ولعل هذا يقترب من طروحات الأمريكي ادوارد هال Edward T. Hall فيما يتعلق بتحليل المكان، من حيث كونه فضاء تواصل وتفاعل اجتماعي، موظفاً في ذلك مصطلحاً جديداً هو البروكسيميا.

2. مفهوم البروكسيميا:

البروكسيميا علم يهتم بدراسة المكان ويقابلها المصطلح الأجنبي proxémique، وفي ترجمة بسام بركة هي علم المكان، وفي قاموس الكنز الوجيز البروكسان proxéne هو حامي الأجانب عند اليونان، و la

proximité كلمة تحمل معاني القرب، والجوار، والكثب وعندما نقول A la proximité فنحن

نقصد على مقربة من، أو بالقرب من. (بن تومي و بن حبيلس، 2012، صفحة 38)

أما في القاموس الفرنسي Hachette فللبروكسيميا معنيان:

▪ اللفظة الأنجليزية proximal, ale وتعني صفة الشخص أو الشيء المتموضع قريبا جدا من

المركز، وهي مقتبسة من الأصل اللاتيني proximus التي تعني: الأكثر قربا.

▪ أما اللفظة الفرنسية La proximité فهي اسم مؤنث يدل على سيمياء القريب في الفضاء

أو الزمان. (Jean-Pierre, 1992, p. 1323)

مما سبق يتبين أن البروكسيميا هي علم يهتم بكل ما له علاقة بالقرب، أو الجوار، في إطار الفضاء

المكاني لأجل تحقيق أهداف تبليغية، من خلال معرفة المسافة التي يحافظ عليها المتخاطبون فيما بينهم،

ومنها تتحدد العلاقة بين المتحدثين من حيث نوع العواطف، التأثير، الدرجات الاجتماعية، الطباع، أنماط

السلوك المختلفة (بن تومي و بن حبيلس، 2012، صفحة 39).

أين تنبني ظاهرة التواصل على نسق من الأنظمة الدالة " كالجسد والحركات، والنظرة، واللغة،

والمسافة الشخصية بين المتكلم والمخاطب" (بن تومي و بن حبيلس، 2012، صفحة 33) لتتحول هذه

الأنظمة إلى ما يعرف في علم الاجتماع بثقافة الجماعة التي هي: الأفكار والمعارف، وأساليب السلوك،

والعادات، والقيم، والاتجاهات التي ينقلها كل جيل في المجتمع للجيل الثاني (بن تومي و بن حبيلس،

2012، صفحة 34).

فالبروكسيميا هي من هذه الناحية تهتم بتفكيك شفرة المكان في دراستها للأدلة غير اللغوية

بالاستعانة بأدلة لغوية لفهم الأولى، وهي من هذا المنطلق تصنف على أنها جزء من علم الأدلة La

sémiotique (بن تومي و بن حبيلس، 2012، صفحة 34)

البروكسيميا ترفع من شأن المكان بحيث لا يصير ذلك الفضاء الذي يحتضن الحوادث وتتحرك في

سياقه الشخصيات فحسب، بل يتحول إلى المناخ الذي تتفاعل فيه كل عناصر السرد وما بينها من

علاقات، والمساعد أيضا على تطوير بناء الرواية من خلال احتضانه للبطل الروائي وتمثيله لأفكار

المؤلف، ومنه يتسع مفهوم المكان ليشمل "العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث، ويعلو فوقها كلها ليصبح نوعا من الإيقاع المنظم لها" (روحي الفيصل، 1995، صفحة 253).

إن محاولة الوصول للمنظومة البروكسيمية في رواية **جذور وأجنحة** تقتضي منا تفكيك شفرة اللغة السردية، باعتبار المكان متخيل لفظي؛ أي "المكان الذي صنعته اللغة انصاعا لأغراض التخيل الروائي وحاجاته" (روحي الفيصل، 1995، صفحة 251)، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة (قاسم، 1985، صفحة 74).

عند استقراء البنية اللغوية للنص الروائي **جذور وأجنحة**، نجد أنه يمكن توزيعها ضمن المشروع البروكسيمى - وفقا لطروحات إدوارد هال في دراسة المسافات بين المتخاطبين - إلى بروكسيميا تواصل اثتلافي وآخر تقاطبي.

3. بروكسيميا تواصل الاثتلاف:

من خلال تصفح الرواية نصادف الكثير من الأمكنة التي تكون ركحا لبث الأفكار والثقافات والحالات النفسية سواء أتعلق الأمر بالفرنسيين فيما بينهم، أم بالعرب الجزائريين في حواراتهم ونقاشاتهم. ومن تلك المشاهد التي تعكس طابع الاثتلاف في الفضاء البروكسيمى نصادف مثلا حوار بطل الرواية **المجندي فاييان** مع قائده وهو حوار تعمد الروائي نقله بلغته الأصلية الفرنسية ليضعنا أمام الصورة الحقيقية في تعامل الفرنسيين مع بعضهم وهي معاملة تختلف كثيرا عن معاملة الجزائريين، إذ كان المكان مكتب القائد في آخر الرواق "Au fond de couloir" (بتقة، 2014، صفحة 7) بعد تعرف القائد على هويته بأنه الجندي فاييان من الكتيبة الخامسة يسأله إن كان قد وضع تحت إمرته ؟. إلا أن فاييان يرد بالنفي، وأن الأمر مدون على ملفه، ليسأله القائد عن سبب طلبه التحويل إلى الجنوب.

فيجيب فاييان: بغاية الاكتشاف. هنا يطلب منه التوجه للقائد "غانزاليس" في الخط المتقدم، فيرد

فاييان:

A vos ordres mon commandant

ليقول القائد:

(بتقة، 2014، صفحة 8) vous pouvez disposer ,conclua le commadant

من خلال هذا الحوار نجد أن فايان كان يقف على مسافة مكانية قريبة من القائد، وعبارة : non,c'estsurma requete ! تصور أن القائد كان جالسا خلف مكتب وولفا أمامه بينما فايان كان في الجهة الأخرى منه في وضعية استعداد، ونكتشف هذه الوضعية من عبارة القائد: يمكنك أن تستريح .vous pouvez disposer

هذا الحوار الذي تم في مكتب القائد يصور لنا النظام البروكسيمي الذي يحكم الحياة العسكرية والعلاقات بين المجندين وقائديهم من حيث اتخاذ وضعية الاستعداد الجسدية التي تعكس ثقافة الاحترام والطاعة العمياء لمن هم أعلى رتبة، بالإضافة لاستعمال الجمل القصيرة الدالة على سرعة الانصياع للأوامر وتنفيذها .

في مكان آخر متحرك وليس ثابت، يتمثل في عربة يستقلها فايان تنقله لمحطة القطار يدور حوار بينه وبين فرنسيين آخرين، اكتفى الروائي بوصفهما بالمرافقين دون تفاصيل تاركا للقارئ تحديد هويتهم، فيتبادلان الكلام:

Tu t'es mes dans un sale pétrin mon ami !

لقد تورطت في مستنقع موحل يا صديقي

T'inquiétepas , on va te marier à une de ces fatmas !!

لكن لا تقلق سوف نزوجك من إحدى الفاطمات

-Eh..fais gaffe, ces arbes sont des barbares ,des primitifs, méfies toi !!

آه...هذه حماقة، هؤلاء العرب هم برابرة وبدائيون احذر منهم. (بتقة، 2014، صفحة 9)

نلاحظ في هذا الحوار أن النظام البروكسيمي الذي يحكم العلاقة بين فايان وهذين المرافقين يتسم بنوع من الودية، وغالب الظن أن المرافقين هما مجندان فرنسيان يحملان نفس رتبة فايان العسكرية أو أقل

ويتضح ذلك من خلال استعمال عبارة : mon ami يا صديقي وهي تختلف عن تلك التي استعملها

فابيان سابقا مع قائده: A vos ordres mon commandant:

تحت أمرك قائدي، حتى أن المسافة المكانية بين فابيان ومرافقيه أكثر قربا من تلك التي كانت مع القائد، والأرجح أنه كان إلى جانبهما، كما أن الروائي نقل لنا حوارا دون تحديد قائله من المرافقين، هل هو لمرافق واحد أم للثنتين معا؟

عند تفحص دلالات الجمل المتلفظ بها نجد أن الجملة الأولى:

Tu t'es mes dans un sale pétrin mon ami !

لقد تورطت في مستنقع يا صديقي، هي لأحد المرافقين الذي يرى بأن الجنوب الذي يقصده فابيان هو مستنقع موحل، خطر تصعب النجاة منه.

أما الجملة الثانية:

T'inquiétepas , on va te marier à une de ces fatmas !!

لكن لا تقلق سوف نزوجك من إحدى الفاطمات

فهي للمرافق الآخر وكأنه يوظف جانبا نفسيا، إذ زرع صديقه الأول الخوف بكلماته في نفس فابيان، فأراد أن يخفف من ذلك بأن يتدخل بجملة أقرب للسخرية، مفادها بأن الجنوب ليس مخيفا لهذه الدرجة، وإنما فيه أيضا نساء جميلات، وسيزوجه من إحداهن، وإن كن عند الفرنسيين كلهن يحملن اسم فاطمة، ليعود المرافق الأول للتدخل ثانية بالقول:

Eh..fais gaffe, ces arbes sont des barbares ,des primitifs, méfies toi !!

آه...هذه حماقة، هؤلاء العرب هم برابرة وبدائيون احذر منهم.

فهو يرفض فكرة اختلاط فابيان بالجزائريين نساء كانوا أم رجالا، فهم أقل مستوى من الفرنسي ببربريتهم وبدائيتهم، الأمر الذي يتطلب الحذر الدائم، وهي وجهة نظر تقييمية للجنوب كمكان، من حيث السلوك البروكسيمي لسكانه المتسم بالعنف والتخلف، بينما نظرة المرافق الثاني اعتمدت المعطى الفيزيائي الجسدي الكاشف عن شهوانية الفرنسي المنتهك لجسد وحرمة الآخر.

يقف فايان مستمعا لمرافقيه وهما يتفقان ويختلفان في وجهات النظر ليقيم الجنوب من وجهة نظر مختلفة تم عن وعي ثقافي أدبي من خلال استشهاده بعبارة للروائي الفرنسي جي دي موباسانتقول:

Le voyage est une espèce de porte par ou l'on sort de la réalité pour pénétrer dans une autre réalité inexplorée qui semble un reve (بتقة، 2014، صفحة 9)

السفر هو نوع من البوابات التي تخرجنا من واقع إلى واقع آخر غير مكتشف أشبه بالحلم. هذه العبارة التي اقتبسها فايان من جي دي موباسان Guy De Moupaassant تكشف أنه ليس مجندا عسكريا فقط، وإنما إنسان على قدر من الوعي والثقافة، خاصة وأنه في مشهد آخر يصوره الروائي على أنه مزود بمحمول ثقافي، متنوع عارف بالمتغيرات التي يفرضها التقدم والتمدن الغربيين ضمن المشروع الاستعماري، ودوره في رسم وإنتاج المتخيل الجمعي الفرنسي، مع إشارة لقراءته لكتابات الناقد والمفكر الفرنسي هيبوليت تين Hippolyte Tain حول نظرية العرق والوراثة، وكذا طروحات فيكتور آرموند هان Victor Hain أحد مؤسسي الكولونيالية بالإضافة لمتابعته لإصدارات الصحافة الفرنسية، خاصة ما تعلق بصحيفة صدى باريس L'Echo de Paris (بتقة، 2014، الصفحات 13-15).

هذا عن التواصل البروكسيما الاثنلافي بين الفرنسيين، أما عنه عند الجزائريين فنصادفه ضمن أكثر من نموذج سردي عبر صفحات الرواية، منها ذلك الذي دار في بيت الحاج المجد بين سكان دشرة سيدي لحسن الطرهوني في شكل اجتماع لأجل التدارس في مجموعة من النقاط منها أمر "القاوري" الجديد الذي حل ببرج المراقبة أو "الكاريطا" كما يصطلح عليها محليا في الدشرة، لينتهي الاجتماع باتفاق هو: إرسال الطيب بن نونة إلى البرج لمعرفة نية الحاكم العسكري من إرساله مراقبا على الدشرة (بتقة، 2014، صفحة 29)

فالمكان هنا، هو بيت أحد كبار الدشرة الحاج المجد، الذي تحول إلى ورشة لصنع القرار واستشراف ما ستؤول إليه أحوال القرية، والتشاور في اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الأخطار المحتملة التي تركزت في نقطتين هما: نقص وشح الأمطار التي تحدد الموسم الزراعي، بالإضافة للجانب الأمني المتمثل في الفرنسي الجديد الذي سكن برج المراقبة.

هذا الاجتماع أراد الروائي أن يعكس به الصورة النمطية المختلفة تماما عن تلك التي رسمها الاستعماري الفرنسي عن كون الجزائريين بدائيين ومتخلفين. فالمكان احتضن مراحل إنتاج إستراتيجية لاحتواء التهديدات المتوقعة وذلك باختيار أحد أفراد الدشرة وهو "الطيب" باعتباره أنسب فرد للقيام بمهمة التقرب من ساكن "البركة" الجديد والتعرف على نواياه اتجاه الدشرة وساكنيها، وذلك لعدة أسباب منها: إتقانه اللغة الفرنسية التي تعلمها في المدارس الفرنسية، وكذا بحكم معرفته بعادات وسلوكيات الفرنسيين من خلال عمله بالمدينة كمرشد سياحي بأحد الفنادق المشهورة، وهو سلوك يعكس ديمقراطية القرار في المجتمع الريفي الذي يأخذ بالشورى والتحاور ونبد الفردية والأحادية، وذلك في إيجاد الحلول المناسبة.

إن دار الحاج المجد لم تكن مكانا لاجتماع الرجال فقط بل كانت أيضا مكانا لاجتماع النسوة لغرض إعداد الطعام بمناسبة وعدة سيدي لحسن الذي سميت الدشرة تيمنا به فيقول الروائي: "اجتمع النسوة في دار الحاج كالعادة حيث قمن بالأمس بغربة الدقيق وفتل العيش وإعداد التوابل وغسل القدور" (بتقة، 2014، صفحة 40).

فهذا السلوك يكشف التعاون المجتمعي كمبدأ مكرس لدى النساء مثل الرجال.

إلى جانب المكان السالف الذكر نصادف المقبرة التي أراد الروائي أن يصورها كفضاء للتذكر والاعتبار، لذلك جعلها مزارا من سكان القرية في يوم مقدس هو الجمعة والسمة الغالبة على تلك الزيارات هي قراءة القرآن "اقترب عيسى من جدته وهي ترسل تهنيدة عميقة، وتذرف الدموع رفع يديه إلى السماء وراح يقرأ شيئا مما تعلمه في الجامع.." (بتقة، 2014، صفحة 49)

إلى جانب الأمكنة السابقة التي صورت عادات وثقافات سكان الدشرة، نصادف مكانا آخر أضفى عليه الروائي الطابع الأسطوري، وهو صومعة الشيخ المبارك "سيدي لحسن الطرهوني" الذي يحكى أنه غادر بيته وأهله وجال في أرض الله الواسعة إلى أن وصل بلادا وجد أهلها يطوفون حول صومعة فحاول الانضمام إليهم طالبا الراحة النفسية والدينية، غير أنهم رفضوا ذلك واشتروا رخصة القيم على الصومعة، فلما التقى به وقص عليه حكايته ربت على كتفه ومنحه بركته وأخذ بالطواف بها ليرتقي في كل

يوم طابقا منها حتى وصل في اليوم الثالث لأعلاها فانفتح أمامه عالم غريب هو عالم الجن فاختمى من دنيا
الإنس لسنوات لا يُعلم عددها، ولما عاد وجد أن الزمن قد غير حال الصومعة واختمى الطائفون بما فقر
أن يتخذها بيتا ومستقرا، ومكانا للعبادة فانتشرت حكايته بين القرى والمداشر لتتباطل عليه وفود الزوار
والمريدين يطلبون نصحه وبركته، إلى أن مات فتحوّلت الصومعة إلى مزار، وسمي المكان الذي صار دشرة
تيمنا بذلك العبد الصالح سيدي لحسن الطهروني (بتقة، 2014، الصفحات 37-40).

وكأن الروائي هنا لم يرد للشخصية أن تبقى ضمن المكان وإنما أن تخترق المكان وتتفاعل معه،
فالصومعة كمكان صارت "تجربة تحمل معاناة الشخصية وأفكارها، ورؤيتها للمكان تثير خيال المتلقي
فيستحضره بوصفه مكانا خاصا متميزا" (هلسا، 1989، الصفحات 8-9).

فسكان الدشرة اعتبروا الشيخ سيدي لحسن الطهروني شخصا مباركا وأن بركته عمت المكان الذي
عاش ومات فيه، ومن ثمة تقرهم من الصومعة يجعلهم شركاء في البركة التي يتوسلون فيها الشفاء من المرض،
والفرج من الكرب، وتحقيق الرجاء، والاقتراب لا يتحقق إلا بطقس يترجم أهمية دفن الصومعة أطلقوا عليه
تسمية الزردة أو الوعدة وهي مناسبة دورية تعلق فيها الرايات الخضراء والبيضاء وتتلى فيها تراديد على وقع
الطبل والزنة ويطعم فيها الناس ويحضرها الكبار والصغار، الشيوخ والنساء والاطفال.

4. بروكسيميا التواصل التقاطعي:

يركز هذا النوع من البروكسيميا على مسافات القرب بين طرفين من ثقافتين وحضارتين مختلفتين
ولعل ثنائية عربي/فرنسي، جزائري/مستعمر، تفرض نفسها من خلال الرواية، غير أنه يمكن تقسيم المنظومة
البروكسيمية للتواصل هنا إلى شطر إيجابي، وآخر سلبي.

أما الإيجابي فذلك الذي نلمح فيه الفضاءات المكانية العاكسة للتقارب الفيزيائي، والفكري
والنفسي، بين كل من فايان والطيب بن نونة، هذا الأخير الذي اتخذ من الطعام وسيلة للتقرب من فايان
أين توجه تلقاء البرج" حاملا معه طبقا به رطب المنقر ولبن الماعز.. كان فايان يراقب صعوده من أمام
البرج حاملا بندقيته.. لم يجرؤ أحد منذ أن عرفوا بوصوله من الاقتراب من البرج.. (بتقة، 2014، صفحة 29).
استطاع الطيب بهذا الطعام وبتقانه للغة الفرنسية أن يتقرب من فايان وذلك تحت عنوان الجيرة،

فالقرويون من سكان الدشرة يعتبرون فاييان جارا لهم وليس عدوا وهي عبارة تنم عن ذكاء وديبلوماسية يتمتع بهما الطيب.

Je viens au nom des villageois, vous apporter ceci ,comme preuve de bon voisinage...(بتقة، 2014، صفحة 29).

هذا التصرف من الطيب ولباقتة في الكلام أذهبت عن فاييان مشاعر الخوف والرعب وجعلته يطمئن، خاصة وأن الطيب تعمد تكرار زيارته للبرج وفي كل مرة يحضر معه طعاما تعده زوجته، الأمر الذي جعل فاييان هو الآخر يتعود على زيارته وينتظرها بفارغ الصبر، إذ لم يكن " يكتف بالتطلع إليه من مساحة البرج الخارجية، بل كان يصعد إلى السطح يرقب مجيئه ويستعجله، وحينما يصل يبدو في حالة نفسية جيدة" (بتقة، 2014، صفحة 30)

لقد صار اقتراب الطيب من البرج وبالنتيجة من فاييان، مدعاة للارتياح لديه وكأن ظهور أو حضور الطيب يرتب رد فعل لا إرادي لدى فاييان يتكرر بتكرر الزيارة، فالطيب أشبه بالعلامة المكانية التي تؤسس لاستجابة مكانية أخرى، وهذا يشبه تجربة بافلوف Pavlov مع الكلاب وقد أطلق إدوارد هال على هذا النوع من وظائف التواصل مصطلح " الذاكرة الفضائية" (بن تومي و بن حبيلس، 2012، صفحة 16) La mémoire spéciale، فذاكرة فاييان في إطار الفضاء الذي هو البرج واقتراب المسافة الفاصلة بينه وبين الطيب تجعله يحدث استجابة نفسية تترجم ارتياحه لهذا الوافد الذي يؤنس وحدته، ويتبادل معه اطراف الحديث بفرنسية سليمة، للتأكيد بأن الفضاء المكاني هو وسيلة تواصل وإبلاغ L'espace est un moyen de communication (بتقة، 2014، صفحة 16)

المسافة بين الطيب وفاييان استمرت في التقلص للحد الذي صار أحدهما يجلس بجانب الآخر، بل يسيران جنبا إلى جنب، هذا يحدثه عن المعارك والحروب

التي خاضها، والطيب يخبره عن سكان الدشرة عن عاداتهم وتقاليدهم، عن الزردة والزرنه، واستمر الطيب في خطته وفي تقريب فاييان من أهل القرية فقد "قبل أخيرا فاييان دعوة الطيب لزيارة الدشرة والتعرف على أهلها عن قرب بعد تردد، بدعوى أنه لا يستطيع أن يترك البرج دون حراسة" (بتقة، 2014، صفحة 32) ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من القرب بل وصل لحد دخول بيت أحد أفراد الدشرة وهو الحاج أمجد أين انبهر بما رآه وكادت

نفسه" تتقطع وهو يدور بعينه أنحاء الغرفة، إنها تحفة.. كانت غرفة الضيوف مفروشة بأنواع الزرابي وقد طرزت بصليب الجنوب...، وسائد الصوف تزين المكان، أواني من نحاس تلمع تزين الحائط، مائدة من الخشب منقوشة تذكر بالأزمنة البعيدة، رائحة العنبر تطبق على المكان، صورة ذات إطار.. لقد ترك هذا الديكور الغرائبي فايان لتأملاته العميقة أول اكتشاف لمنزل عربي" (بتقة، 2014، صفحة 33)

لقد استرسل الروائي في هذا المشهد بالوصف لتصوير المكان وهو "محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما يصف لا يصف واقعا مجردا، ولكنه واقع مشكل تشكيلا فنيا، إن الوصف في الرواية هو وصف لوحة مرسومة، أكثر منه وصف واقع موضوعي" (بتقة، 2014، صفحة 110) ليأتي فيما بعد صاحب البيت الغرائبي الحاج المجد ويرحب بضيفه القاوري كما جاء على لسان الطيب، بينما فايان مستغرق في أن البيت انعكاس لصاحبه، فهذا التصوير الجميل للمكان فيه تمجيد للشخصية التي ستخترقه، وتمهيد لمزاج الشخصية وطبعها ليصبح المكان "تعبيرات مجازية عن الشخصية، لأن بيت الإنسان امتداد له، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان" (ويليك و اوستن، 1972، صفحة 81).

لقد أعجب فايان بديكور الغرفة ونقل إلينا الكاتب عن طريق الوصف هذا الإعجاب، ما يكشف في نفس الوقت أهمية الوصف كعنصر أساسي في بناء المكان وما "الروائي إلا رسام ديكور ورسام شخصيات" (بوتور، 1971، صفحة 46) لقد تغيرت نظرة فايان تماما عن العرب وعن سكان الدشرة واكتشف أنهم مثل الفرنسيين لهم أسماء وألقاب، لطفاء كرماء، معاشرون، يكرهون، يغارون، يغنون، يفقرون، هذا كله كان تمهيدا لتغيير في سلوك فايان، فما أن وُضع الطعام أمامه في بيت الحاج المجد قلداهم في جلستهم، أين اتخذ جلسة القرفصاء وتناول الشخشوخة مثلهم تماما بأن ينفخ في الملعقة قبل تناولها مبديا إعجابه بمذاقها اللذيذ.

إن أخلاقا عربية كالكرم وحسن الجوار في إطار الفضاء البروكسيمي جعلت فايان يغير تلك الصورة النمطية التي أتى بها عن الجزائري، ويستجيب لنداءات المشاعر الإنسانية لا العسكرية، التي رسمت في ذهنه صورة جميلة لهذا العالم الجديد الذي قرر البقاء فيه وعدم مغادرته متخليا عن "الحلم القديم بالعودة الذي لم

يعد يعني له شيئاً... المعنى الآن في حال الأهالي التعساء يحس بهم قريين منه، لقد أصبحوا دفقا لحياته وبديلا لعالم تلاشى... فايان أصبح يتنفس عبر إيقاع واحد مع أنفاس أهل القرية" (بتقة، 2014، صفحة 81).

تبدو نماذج بروكسيميا التواصل التطابقي السلبي كثيرة جدا في الرواية، محاولا الروائي من خلالها وصف الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له الجزائري من المستعمر الفرنسي خاصة في ذلك الصباح الذي استيقظت فيه الدشرة على " أصوات الأرتال من العربات المحملة بالجندرمة وعلى ضربات حوافر الأحصنة على الأرض كانت الأصوات قريبة.. هرع الأهالي إلى سطوح المنازل بعد أن أغلقوا بيوتهم وامتنعوا عن الخروج.. اطلقوا الرصاص الحي على جلول المهبول وارده قتيلا عند مدخل الدشرة حينما اعترض طريقهم.. بدأوا بإخراج الأهالي بالقوة من بيوتهم وتجميعهم وسط الدشرة عند السوق.. جاء الحاكم وهو يحاول ان يدوس بحصانه على الجموع المصطفة." (بتقة، 2014، الصفحات 110-111) إن المكان هنا يعكس موقف الإذلال والإهانة في تجميع الأهالي بقرب السوق كأهم قطيع تساق للنحر أو البيع يسوقهم الحاكم الفرنسي على حصانه، وكأننا أمام مشهد من الجنوب الأمريكي أين يوجه رعاة البقر المواشي يمينا ويسارا، إلا أن الجزائري يأبى ذلك، لتتحول نشوة القوة والغطرسة الفرنسية إلى ثورة نابضة بالرفض والحرية، فينقض الحاج المُجد على القايد الخائن ويذيقه من ضرباته ولكماته ويتدخل ابنه العيد بسيفه فيفصل رأسه عن عنقه. الظلم الذي تعرض له الأهالي يدفع فايان في حركة لا إرادية للتدخل وتصويب بندقيته نحو الحاكم الفرنسي فيرديه قتيلا ليسقط يومها الكثير من الشهداء على رأسهم الحاج المُجد، إن الروائي في هذا المشهد الثوري قام بإحياء " العلاقات المكانية وجعلها نابضة بالحركة والفعل" (روحي الفيصل، 1995، صفحة 257) علاقات أنست فايان أنه فرنسي، وأن من يصبو عليهم بندقيته هم فرنسيون مثله من بني جلدته، إلا أن المكان والتفاعلات الاجتماعية، والأخلاقية، والدينية في خضمه، جعلته يميز الطيب من الخبيث، جعلته يكتشف الحقيقة التي أرادت أن تطمسها فرنسا، جعلته يتبع إنسانيته التي أملت عليه مساعدة الأهالي الذين أعتنق دينهم، وكما تبنى الحاج المُجد "الضاوية" وهي بنت أعدائه الفرنسيين، تبنى فايان هموم أهالي الدشرة وعزم على مساعدتهم ولو كلفه ذلك حياته.

إن منظومة مكانية كهذه لن تساعد الوافد الاستعماري الفرنسي بأي شكل من الأشكال وبالتالي كان الرد سريعاً ومرعباً بأن تم قصف دشرة سيدي لحسن الطرهوني وتسويتها بالأرض، الشيء الوحيد المتبقي من حطامها هو كلام الله تعالى، هي صفحات القرآن الكريم المتناثرة التي جمعها فايان ونفخ عنها الغبار وكأن معنى المكان هنا يتناص مع القرآن الكريم في سورة الحجر في قوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون" فحفظ القرآن من الضياع والتشويه والتدنيس بإرادة إلهية، هي نفس الإرادة التي تحفظ دشرة سيدي لحسن الطرهوني واهالي الطرهوني.

لقد أخضع الكاتب ضمن النظام البروكسيمي التواصلية للرواية "العلاقات الإنسانية والنظم لإحداثيات المكان، مستغلاً إمكانات اللغة في إضفاء إحداثيات مكانية على المنظومة الذهنية" (قاسم، 1985، صفحة 75).

5. خاتمة:

إن القراءة البروكسيمية للرواية من حيث دوائر القرب والجوار أظهرت وأن الروائي سليم بتيقة كان يسعى من خلال نصوصه السردية أن يجعل الرواية - كمكان ثقافي - العالم الأفضل في تصوير مشاهد إنسانية للحياة، مؤثرة وجذابة، وفي نفس الوقت تعكس وتظهر الحقيقة الثابتة، الفجة والكريهة للمستعمر الفرنسي في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر، ليمتدنا بمغامرة إبداعية فذة وجذابة، توائم بمهارة بين أحداث منتظمة ومتدرجة، وشخصيات منتقاة بعناية، تلتقي جميعها في مسرح الجنوب حيث تتجابه المصالح، والأهواء، والعواطف، بما منح الرواية مداها وقيمتها الفنية.

6. قائمة المراجع:

- اليامين بن تومي، و سميرة بن حبيلس. (2012). *التفاعل البروكسيمى في السرد العربي* (الإصدار 2). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
- حسن بحراوي. (1990). *بنية الشكل الروائي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- رينيه ويليك، و وارين اوستن. (1972). *نظرية الأدب*. (محي الدين صبحي، المترجمون) دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.
- سليم بتقة. (2014). *جنود وأجنحة (رواية)*. بسكرة: دار علي بن زيد للطباعة والنشر.
- سمر روجي الفيصل. (1995). *بناء الرواية العربية السورية*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- سيزا قاسم. (1985). *بناء الرواية*. بيروت، لبنان: دار التنوير.
- غالب هلسا. (1989). *المكان في الرواية العربية*. دمشق: دار ابن هانيء.
- ميشال بوتور. (1971). *بحوث في الرواية الجديدة*. (فريد أنطونيوس، المترجمون) بيروت، لبنان: منشورات عويدات.

Jean-Pierre, M. (1992). *hachette le dictionnaire du francais*. paris .